ويقول : « هذه قصة حسنة جدا ، عن الفخار » . ويجيب عبدالله : « ليس فيها شيء عن فخار » . ويقرأها صانع السجاد مرة ثانية ، ويصرخ بلهجة الظافر : « اني احب هذه القصة عن بائع ازهار». ويقول عبدالله: «وليس فيها اي‌شيء عن بائع ازهار ايضا » . وينسخها صانع السجاد بكاملها ، ويعرضها على عدد من اصدقائه . ولا يتمكن ايهم ان يقول له ما الذي تعنيه . لكن القارىء يعرف ، بالطبع.

وفي القصة المعنونة « في يوم من ايام الربيع » يتجلى خيال احمد صفريوئي بافضل اشكاله . يكون الراوي في الجبال المشرفة على البلدة ، حيث تدور تأملاته في مباهج اوائل الربيع ، اذ تقترب منه فتاة حسناء ، وحيدة في الدنيا ، جائعة ومتعبة . ويعطيها برتقالة وشيئا من الخبز . ويظهر عندها رجل غريب ، كائن شنيع ، ينتزع البرتقالة من الفتاة ، ويربط الرجل الآخر الى شجرة ، ويغتصب الفتاة . وتفك رباطه فيما بعد ، ويهبطان الى البلدة. ويستأجر غرفة للفتاة لتصرف الليلة فيها،وفي النهار التالي يأخذ هراوة ويعود ادراجه الى الجبل. فقد قضى الليلة لم تغمض له عين وظل يفكر في تلك الشخصية الشيطانية ، في الرجل الفظيع ، يفترس فتيات صغيرات اخريات . ويظهر الرجل من جديد ، ويقتله الراوي هذه المرة بالهراوة . وبعد اسبوع يتزوج الفتاة . وفي ليلة الزفاف ، يقول ، « اخرت العمل الجسدي ، خشية ان اثير فيها الذكرى المرعبة لما حصل عند لقائنا الاول . لكنها حضرت نفسها للجماع بيننا بدون اي امارة من امائر الاسى . وادهشني ان اكتشف ان فضيلتها ما زالت سالمة سليمة » .

ان القوة التي للطهارة والجمال على الشر تميز هذه القصص جميعها ، وهي قصص مكتوبة بنثر صاف جميل . وهي امثال اكثر منها قصصا ، سرعان ما يمتزج فيها العالم الواقعي بضرب من عالم الخرافة والاسطورة . لكنما هو العالم الواقعي الذي ينتصر في النهاية — والعالم الواقعي بالنسبة لاحمد صفريوئي هو الشوارع الضيقة المزدحمة في مدينة فاس القديمة المقدسة التي يحبها ، عالم اناس مغمورين بسطاء — صانعي سجاد وصانعي احذية وبائعي ازهار وبنائين وطلاب وحجاج وفخارين . وفلسفتهم في الحياة فلسفة سليمة ، لانها لم تتأثر بالحركة الصناعية الحديثة ، من قريب او بعيد .

لن اورتزن

مسرحيات مصرية جديدة

« رحلة خارج السور»، بقلم رشاد رشدي . مجلة « المسرح »، القاهرة، ١٩٦٤
« الارانب » ، بقلم لطفي الخولي . مجلة « المسرح » ، القاهرة ، ١٩٦٤
« ادهم الشرقاوي » ، بقلم نبيل فاضل . مجلة « المسرح » ، القاهرة ، ١٩٦٤

تبدو قضية الالتزام في الادب في هذه الظروف التي يمر بها مجتمعنا ضرورة بالغة الاهمية . والمسرح بالذات — باعتباره فناً جماهيرياً — يجب ان يكون مسرحا ملتزما بواقعه كل الالتزام . ومن خلال هذه المراجعة سأتعرض بالنقاش لثلاث مسرحيات ظهرت اخيرا في الجمهورية العربية المتحدة ، مبينا مدى التزامها بالواقع الذي تعايشه . والالتزام يجب الا يكون هدفا في حد ذاته ، يخطط له الاديب قبل الشروع في خلق انتاجه الادبي ؛ ولكن الفكرة الملتزمة يجب ان تنبت تلقائيا من ثنايا الاثر نفسه ، حتى يخيل الينا ان العمل الادبي كله يقوم عليها . فالاديب الملتزم يجب الا يضحي باصول الفن في سبيل الموضوع ، بل ان تمسكه بالمصطلحات الفنية هو الذي يكسب انتاجه مزيدا من العمق والكثافة . والفن يجب ان يكون فنا اولا ، وبعد ذلك لن يكون هناك مانع من ان يكون ملتزما كل الالتزام .

يضعنا الدكتور رشاد رشدي امام موضوع منتزع من صميم واقعنا المصري الذي عشناه في

مجتمع ما قبل ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ . موضوع الصراع هو بين مجموعة القيم الصحيحة التي تشكل حياة الفرد ، ومن ثم حياة المجتمع بشكل عام ، وبين ما يمكن ان نسميه بمجموعة القيم الفوضوية التي تتحكم في مجتمع معين تحت ظروف معينة. والصراع في هذه المسرحية يتم على مستويين من التجربة . المستوى الاول بدأ وانتهى قبل رفع الستار ، متمثلا في قصة عم كامل الذي اتهم بقتل زوجته التي انتحرت لانها لم تستطع ان تخونه مع ابو العيون حبيبها الاول . ورغم براءته قانونيا من هذه الجريمة ، لم يستطع مطلقا ان يتخطى سور اتهام المجتمع له ويبرىء نفسه . ومن ثم حبس نفسه داخل سور الاتهام وقضت عليه التجربة ودمرته . ويصرخ عم كامل في فريد الذي يمثل المستوى الآخر من هذا الصراع : « ما دام اتهموك مهما قلت مفيش فايدة » . ويسقط هذا الاتهام على عم كامل كالقدر ، ومن ثم ينتهي هذا الصراع بما اسميناه بمجموعة القيم الفوضوية .

وفريد بطل المستوى الآخر من هذا الصراع ، شاب مستقيم صريح يؤمن ايمانا راسخا بمجموعة من القيم الصحيحة التي لا يتطرق الشك مطلقا الى عدالتها ومن ثم الى حتمية تحقيقها . ومن هنا يبدأ اصطدامه التدريجي بمجموعة القيم الفوضوية على مستوياتها المختلفة . ففريد يكتشف ببساطة ان العوامات التي بناها المهندس شريف سامي فاسدة ولا تصلح مطلقا لبناء الكوبري عليها ، وبحماسة الشباب المؤمن بعدالة القضية التي يدافع عنها يرفع تقريره الى المصلحة طالبا ازالة هذه العوامات وبناء غيرها على اساس سليم ليتسنى له بناء الكوبري . ولكنه يكتشف بالتدريج صعوبة تحقيق هذا المطلب العادل ، ويصطدم بتناقض عجيب في قيم المجتمع الذي يجعل للحقيقة وجهين .

هذه المسرحية تدخل بالمسرح المصري مرحلة جديدة من مراحل تطوره الدرامي . فنحن قد تعودنا فيما قدمه لنا المسرح المصري من عروض — قبل نهضة المسرح الحالية — التبسيط في عرض الاحداث مما يؤدي الى فقدان التجربة وضياعها . ولكن التركيب الذي يتم عليه الصراع الدرامي في هذه المسرحية يعمل على اثراء التجربة ويكسبها مزيداً من العمق والكثافة . ويظهر هذا التركيب في تشابك قصة « عم كامل وشهيرة وابو العيون » وقصة « فريد ومحاسن والعوامات » ؛ والقصتان في واقع الامر مستويان لتجربة واحدة ، تجربة الفرد عندما يواجه المجتمع ويصطدم به نتيجة لاختلاف قيم كل منهما .

ويضعنا عنوان المسرحية امام سؤال يتبادر الى الذهن على الفور : اي سور يعني المؤلف واية رحلة ؟ الرحلة — في رأيي — هي رحلة الانسان خلال دروب الحياة المتشابكة الى مستقبل افضل تسود فيه القيم الفاضلة وتتحقق العدالة . ولكن الاجابة عن ماهية السور في هذه الرحلة تتعدد ، لان العمل الادبي يحتمل العديد من التفسيرات . فنحن نستطيع القول بان كل شخصية من شخصيات المسرحية لها سورها الخاص الذي يتعين عليها ان تتخطاه وتبدأ رحلتها الى المستقبل الافضل . وقد يكون سور الماضي الذي يشد الشخصيات اليه ويمنعها من تخطيه الى المستقبل . والمسرحية ، شأنها شأن كل عمل جيد ، تحتمل كل هذه التأويلات وتدعو الى مزيد من التأمل والتفكير .

تعالج مسرحية « الارانب » للاستاذ لطفي الخولي موضوع اشتغال المرأة ، خصوصا في مجتمعنا العربي الذي ما زال ينظر الى مسألة اشتغال المرأة جنبا الى جنب مع الرجل نظرة ليس فيها كثير من الرضى ، وان كانت ايضا لا تحمل معنى الرفض التام. وتطرح لنا المسرحية احداث زوجين شابين تزوجا عن حب ويعملان معا في شركة واحدة . ولكن الاستاذ اسامة ، الزوج ، يغار على زوجته — شأنه شأن كل زوج — ولا يستطيع ان يصمد امام كلام الناس الرجعيين عن عمل زوجته ونزولها الى الشارع يوميا للذهاب الى الشركة . ومن هنا يطلب منها ان تلزم مكانها الطبيعي في المنزل ، على حد قول اصحابه ومعارفه .

ويلجأ الاستاذ لطفي الخولي الى الفانتازيا في معالجة موضوعه في قالب كوميدي . ونعني بالفانتازيا اية فكرة مستحيلة التحقيق في حياتنا اليومية ، كقصص المخترعات العلمية مثلا التي تفترض اشياء خارجة عن المألوف وتبنى عليها

الاحداث . وحتمية العلم تقول على لسان الدكتور يونس ان الناس كالارانب ، فان كان من الممكن تغيير الارنب الى ارنبة فمن الممكن ايضا تحويل المرأة الى رجل والرجل الى امرأة .

وعندما يأخذ الاستاذ اسامة حقنة اليونسزم ، العلاج الذي اخترعه الدكتور يونس لتحويل الاناث الى ذكور وبالعكس ، عندئذ نضحك ضحكا ممزوجا بالمرارة على مصير الاستاذ اسامة ونحن نراه يتمزق داخل المنزل في اعمال تافهة ، بينما نرى الزوجة قسمت ، بعد ان تحولت الى رجل ، تخرج الى الحياة تعب منها وتملأ حياتها تطويرا وانسجاما. وعن طريق هذا الموقف الفانتازي يحس الاستاذ اسامة بضحالة تفكيره وتفكير معارفه من ان المرأة مكانها الطبيعي في المنزل . وعندما يعود الاستاذ اسامة الى طبيعته الاولى – الى جنس الرجال – نراه وقد اقتنع بحتمية عمل المرأة ، وامحت من ذهنه كل الافكار الرجعية بخصوص هذا الموضوع ، تلك الافكار التي لا تساير تطور العصر .

عندما يرتفع الستار عن مسرحية « ادهم الشرقاوي » للاستاذ نبيل فاضل ندخل الى قلب الصراع مباشرة بلا مقدمات او تمهيد . فالقرية تعيش في ظل اقطاعي يفرض عليها حياة الذل والخضوع – والاقطاع وما قاسته مصر تحت ظل هذا النظام ، وخصوصا الريف المصري قبل ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ، موضوع عشناه جميعا واكتوينا بناره . فالستار يرتفع واصابع الباشا واعوانه تكتم عن القرية الانفاس، ووالد ادهم قتله الباشا وادهم طفل عمره ثماني سنوات لانه تحدى ارادته . ونرى عارف باشا في الفصل الاول محاطا بعسكره واعوانه ومأموريه يطلبون من سالم الشرقاوي – عم ادهم – التنازل عن ارضه ومنزله حتى يستطيع الباشا ان يشق الطريق الى قصره الجديد دون منحنيات او عراقيل . فارض سالم الشرقاوي تعترض وجه هذا المشروع ، ومن ثم يجب ان تزول . ويرفض سالم الشرقاوي التنازل عن الارض ، فهي كل ما له : منها مأكله ، وهي ايضا مدفنه حين يموت . وعندئذ يقول الباشا بلهجة ذات مغزى : « وهو كذلك . ستموت في ارضك يا سالم » . ونفهم من ذلك ان نهاية سالم الشرقاوي ستكون على يد الباشا دون انتظار لنهايته الطبيعية . ومن هنا يبدأ اصطدام ادهم بالباشا ، ويبدأ الصراع يحتد حين يتحدى ادهم ارادة الباشا علناً ويفتح الترع لري ارض الفلاحين دون انتظار لتعليمات الباشا ، كما هو متبع قبل ذلك .

وعندما يأمر الباشا بالقبض على ادهم يبدأ انتقام ادهم الحقيقي : انتقاما لروح ابيه وعمه وكل الذين قتلهم الباشا وسلب منهم الارض والشرف ؛ انتقاما لصابحة ، الفتاة الريفية التي اعتدى عليها الباشا ؛ وانتقاما لمصر كلها .

حسن محمود السعدني

تابع من الصفحة ١٠٠

هناك على الدوام صراع بين المبدعين وبين التقنيين في الصنعة ذاتها .

– لقد اذهلتني تفاهة البرتو مورافيا في حديث اجراه مؤخراً مع ممثلة سينمائية ونشرته الصحف الفرنسية .

كوكتو : لقد شاهدته على شاشة التلفزيون ووجدته عادياً جداً . لكن تلك هي الصعوبة. فذلك هو الضرب من الاشياء الذي يستسيغه الجمهور. وكل ما يريدونه هو الاسماء.

...كوكتو : ان تذوق الفن انتصاب خلقي ، ولولا ذلك لكان مجرد هواية وغواية . اعتقد ان الجنس هو اساس كل صداقة .

...كوكتو : هذا المرض ، مرض تعبير المرء عن ذاته . ما هو ؟